الدكتور كمال موسوى

استاذ الادب العربى المساعد

بجامعة اصفهان

صوت ابى الريحان

كتاب الفه الاستاذ الدكتور غلام على كريمى رئيس قسم اللغة العربية و آدابها فى كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة اصفهان بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور الف عام على مولد الاستاذ ابى الريحان البيرونى العالم الايرانى الكبير وهو من منشورات جامعة اصفهان رقم ١٣٦ والذى اخرجه الدكتور كريمى باللغتين العربية والفارسية تعميماً للفائدة لقراء العربية والفارسية وللكتاب ١٥٢ صفحة صقيلة من القطع المتوسط بالاضافة الى خمس صفحات اخرى كتصدير بقلم سيادة الدكتور قاسم معتمدى رئيس جامعة اصفهان و هى التى ترجمها المؤلف الى العربية فكما يقول رئيس الجامعة فى مقدمته هذه فان السيد الدكتور كريمى كان اول من القى محاضرة فى ذلك الاحتفال حول شخصية ابى الريحان الفذة وعرف بنواحى حياة هذا الاستاذ الكبير المختلفة حيث اعجب بها الحضور وتمنوا ان يخرج المحاضر خطابه بصورة كتاب حتى يكون فى متناول من تهمه هذه الابحاث القيمة فشمر المؤلف الكريم عن ساعده و دأب على العمل ليل نهار فى مدة يسيرة و اكمل دراساته السابقة فى هذا الموضوع والف كتاباً رائعاً باللغتين العربية والفارسية باسم «صوت ابى الريحان» .

وقد بحث زميلنا الفاضل الدكتور كريمى شخصية ابى الريحان البيرونى

من مختلف الاوجه من علمية و فلسفية و ادبية و سياسية و انسانية خلال دراساته العميقة في مستوى يليق بهذا الاستاذ الكبير الذي يحتفل العالم اليوم بذكرى مرور الف عام على مولده ، فنرى المؤلف الكريم قد بدأ كتابه هذا بالبحث في مولد ابي‌الريحان ونسبته وذكر اقوالاً مختلفةً لكبار المؤرخين والكتبة مثل: الشهر زوري في «نزهة الارواح وروضة الافراح» و ابن ابي اصيبعة في «عيون الانباء» وياقوت الحموي في «معجم الادباء» والسمعاني في «الانساب» وجلال الدين السيوطي في «بغية الوعاة» حول كلمة « بيرون » ثم ناقش هذه الآراء بمقدرته العلمية و دقته الشاملة ؛ فمثلاً انه في ختام هذا البحث يفضل رأي البروفسور زاخائو فيما يتعلق بضبط كلمة «بيرون» ويرى ان رأي المستشرق المذكور اقرب الى الصحة ثم يواصل المؤلف الفاضل كلامه حول بيئة ابي الريحان ويذكر العوامل التي ادت الى نشأة ابي‌الريحان ومن ماثله في تلك الحقبة من الزمن ، ويلقي نظرة خاطفة على الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية في ايران في القرنين الرابع والخامس الهجريين ويستدل على ان الملوك السامانيين الذين حكموا البلاد الايرانية آنذاك كانوا بمعزل عن التعصب الاعمى ولذلك اعطوا الحرية الكاملة لكل الفئات وطبيعي ان هذا التفكير السليم المنبعث عن انشراح صدورهم لمما له الاثر البعيد في نشأة العلماء وقادة الفكر وترعرعهم في تلك البيئة المزدهرة فظهر ابو الريحان ومن سلك سبيله في هذا المضمار من روادالعلم وعباقرته.

وبعد ذلك ينتهي المؤلف بالبحث الى « حياة ابي‌الريحان و آثاره » ويذكر انه كيف تعلم العلوم منذ صباه ثم درس على الاساتذة العظماء كابي نصر منصور بن علي بن عراق الرياضي وكان يكاتب ابن سينا في المسائل الفلسفية وكان شمس المعالي قابوس بن وشمگير يرعى ابا الريحان اكثر ممن اتصل ابو الريحان بهم من الملوك بحيث انه الف اول كتاب كبير له باسم «الآثار الباقية عن القرون

الخالية» فی‌بلاط قابوس و باسم الامیرقابوس و یفیدنا المؤلف‌الفاضل‌ان ابا ـ الریحان و ان‌کان ایرانیاً الا انه الف جل مـولفاته بـاللغة العربیة التی‌کانت لغة العلم وقتذاك ویفیدنا ایضاً ان‌للبیرونی مایبلغ مائة وثمانین مؤلفاً ویسرد مؤلفاته بالتفصیل.

اما شخصیة ابی‌الریحان فعندالکلام علیهـا یتابـع المؤلف البحث اولاً حول دور ابی الریحان السیاسی فی‌فترة مـن عمره ویذکرمـا جعله یخوض‌غمار السیاسة فی حیاته . ثانیاً حول شخصیته‌الادبیة وشاعریته، ثالثاً حول آرائه الفلسفیة ومکانته المرموقة فمن البواعث التی دفعت البیرونی الـی التدخل فـی السیاسة یذکرلنا المؤلف الفاضل دافعین اساسیین: الاول اعترافه بالجمیل وتقدیره‌لمودة ابی‌العباس له ولاحترام العلم والعلماء و ابـوالعباس هذا کان امیراً مـن‌الاسرة الخوارزمشاهیة التی حکمت ایران وقتئذ، وکان محمود الغزنوی ینوی علـی ابادة الاسرالحاکمة الایرانیة ومن‌بینها الاسرة الخوارزمشاهیة فـوقعت عـداوة بالغة بین محمود و ابی‌العباس ولماکان ابـوالریحان مقیماً ببـلاط ابی‌العباس وعاش الاحداث التی مرت‌علی ابی‌العباس وشهد نهایة حکم هذه‌الاسرة‌فبدیهی انه طوال سبع سنوات من‌اقامته بذلك البـلاط لـم یـکن یستطیع‌ان‌یباعـد نفسه عن‌السیاسة واوزارها وخاصةً انه‌کان موضع‌ثقة ابـی‌العبـاس بحیث انـه‌کان یستشیره فی‌عظائم الامور ویطلب منه‌الحلول‌لمشاکله الساسیة وغیرهـا . والدافع الثانی لتدخله فی‌السیاسة هواستنکاره‌سیاسة التعصب‌المذهبی الاعمی التی‌کان ینتهجها محمودالغزنوی فی‌حکمه و التی کانت تقضی علی‌العلوم العقلیة و یستأصل شأفـة العلماء و ابـوالریحان و ان عاش بعدفتح خـوارزم فی‌بلاط غزنة و واصل در اساته العلمیة الا انه لم‌یکن باستطاعته التعبیر عن آرائه بحریة تـامة فـی تلك البیئة التی حاق التعصب بها.

اما فیما یتعلق بالادب عامةً فیذکر لنا الاستاذ الدکتور کریمی مدی ما احاط به ابوالریحان البیرونی من معرفة ومران حول اللغات الفارسیة والعربیة والسنسکریتیة والعبریة والسریانیة وهذه کلها تنم عن ملکة لغویة فیه تمکن بها أن یعرب عما اراده بسهولة کاملة و با سلوب شیق کما انه باستطاعته اللغویة اتی بالمفردات والمصطلحات الدقیقة الفارسیة وفق مایعادلها من المصطلحات العلمیة فی کتابه القیم «التفهیم لاوائل صناعة التنجیم» ومنها : «بسیارپهلو» عوضاً عن التعبیر العربی : « کثیر الاضلاع» الذی یستعمل فی الفارسیة ایضاً و « بیمارناك » عوضاً عن الصورة العربیة «علیل المزاج» المستعملة فی اللغة الفارسیة و « اندام بریده» بدلاً من « مقطوع الاعضاء » و « برسو » بدلاً من « سمت فوقانی » ای الجهة العلیا و « بایستها » بدلاً من «الشروط اللازمة » . ومن آثار البیرونی الادبیة شرحه علی شعر ابی تمام و کتاب مختار الاشعار والآثار کما ذکره الیاقوت ولیعلم ان من یشرح دیواناً کدیوان ابی تمام یجب ان یکون خبیراً بدقائق الشعر العربی کما ان اختیار الاشعار و الآثار لایتاتی الا ممن له تضلع فی فنون الشعر و اسالیبه ، وکان البیرونی نفسه ینظم الشعر احیاناً فی مناسبات مختلفة و وصف شعره الیاقوت فی معجم الادباء بانه « ان لم یکن فی الطبقة الاولی فانه من مثله حسن» .

و فی حقل العلم اتی البیرونی بآراء سدیدة قیمة یشرح لنا الاستاذ المؤلف نماذج فی النجوم والطبیعیات والجغرافیا وغیرها، منها ان ابا الریحان و ان کان من الذین اعتقدوا بمرکزیة الارض الا انه کان علی علم بالنظریة المخالفة لها والقائلة بان الشمس هی مرکز السیارات والارض جرم یدور حولها ومنها انه استدل علی ان صخور وادی الهند هی صخور رسوبیة وبین ذلك فی کتابه « تحقیق ماللهند . . . » ومنها انه ادرك ان تغییرات کبری قد طرأت علی سطح الارض

کاستحالة البحر الی الیابسة وبالعکس و ان بعض هذه التغییرات قدتعود الی قبل وجود الانسان ومنها انه ادرك ان المتحجرات التی بقیت مجهولة فی اوربا حتی عصر النهضة هی بقایا حیوانات بحریة ومنها انه ادرك ان الضوء جسم فی حین ان ارسطوطالیس ومن تبعه کابن سینا وغیره کانوا یعتقدون ان الضوء جزء من الملزمات الذاتیة للاجسام الشفافة ونظریة البیرونی هذه اقرب الی الصحة اذا قیست بما ابداه العلم الحدیث حول هذا الموضوع وما الی ذلك من الابحاث العلمیة التی یجب علی القاری ان یراجع مصادرها الاصلیة ان شاء. وبالاضافة الی ذلك عالج البیرونی الطب والصیدلة و اتی بنتائج افکاره فی کتابه «الصیدنة فی الطب» و اشتغل ایضاً بالدراسات التأریخیة و دراسة الادیان و المقارنة بینها فنراه یقارن بین عقائد الهنود وعقائد الامم الاخری کالیهود والنصاری والمسلمین فی کتابه «تحقیق ماللهند...».

ویتضح لناتفکیره الفلسفی من اسئلته الثمانیة عشرة التی وجهها الی فیلسوف عصره ابن سینا وطلب منه ان یجیبه علیها و بعد ان تلقی الرد لم یقتنع به بل کتب اعتراضات جدیدة علی اجوبة ابن سینا، هذا بغض النظر عما کتبه حول المباحث الفلسفیة فی کتبه المختلفة «تحقیق ماللهند» و «ریاضة الفکر والعقل» وغیرهما.

والقسم الاخیر من کتاب «صوت ابی الریحان» یختص بحیاة البیرونی الروحیة فنری العناوین البارزة ـ التی جاء بها الاستاذ الدکتور کریمی مبیناً موقف البیرونی تجاه الدین والوطن والحقیقة ـ تلقی اضواءً علی هذه الحیاة وتبرز للبیرونی شخصیة ممتازة قلما توجد فیمن جاراه فی هذه المیادین العلمیة والفلسفیة والادبیة، فکان ابو الریحان یؤمن بوجود الباری وبالدین الاسلامی الحنیف ایماناً لایخالطه شك ولم یکن فیه التعصب لمذهب خاص من المذاهب الاسلامیة السائدة آنذاك بل قبل من اصحابها ما اتفق وقواعد العقل المنطقیة والذوق السلیم

اما المتمسکون بظواهر الدین والذین کانوایزعمون ان العلم یختص بالله وبذلك یتثنوا عن طلب العلم فهم الذین لم یسلموا من نقد البیرونی اللاذع فذکرهم فی کتابه «الآثار الباقیة» کما یلی: (. . . وکثیر من الناس ممن یعیر علم الله ماجهلوه من علم الطبیعیات نازعونی ...) .

اما حبه لوطنه فیکفینا ما رواه لنا الیاقوت من ان البیرونی (... لایکادیفارق یده القلم و عینه النظر وقلبه الفکر الا فی یومی النیروز والمهرجان ...) وذلك دلیل علی احتفال هذا العالم الکبیر بالتقالید الایرانیة العریقة والدلیل الآخر علی حبه لوطنه ولمواطنیه هو انه رد علی من الف کتاباً فی مثالب الفرس وفضل العرب علی العجم . واخیراً تصور المؤلف ابا الریحان من وراء القرون والاجیال وجعله یسمعنا کلامه الذی تتخلله نصائح غالیة لاهل العالم لاسیما الایرانیین اساتذةً وطلاباً تحت عنوان «صوت ابی الریحان» وهذا العنوان هو الذی اخذ اسم الکتاب منه فنحن اذ ا نشکر المؤلف الفاضل زمیلنا الاستاذ الدکتور کریمی علی تزویده الباحثین بسفر لاشك فی انهم محتاجون الی مثله و نتمنی له مزیداً من النجاح فی کل ماسیقوم به من الابحاث العلمیة .

پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی